لفظة (الناصية) في القران الكريم
بين
مأثور التفسير والتفسير العلمي
دراسة موضوعية

د.عمار حكمت فرحان

كلية العلوم الإسلامية/ قسم أصول الدين

جامعة بغداد

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد الرسول الأمين وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين:

وبعد:

فإن القران الكريم هو كتاب الله تعالى الذي مثل المعجزة الكبرى للرسول المصطفى ﷺ فكان أن أعجز هذا القران عمالقة المجتمع الذي نزل فيه، أعجزهم بعلو أسلوبه البلاغي، وفصاحة الفاظه، مع أنهم دهاقنة الفصاحة والبلاغة... وانقضى ذاك العهد بهزيمة أرباب الفصاحة والبلاغة شر هزيمة لأنها كانت في صلب ما يتقنون.

ثم جاء عصر آخر وجاء معه نوع آخر من المكذبين والمحاربين لدين الله عز وجل، متسلحين بالعلم، فهم دهاقنة العلم كما كان من قبلهم دهاقنة الفصاحة، فقد برع هؤلاء في كافة العلوم حتى غزو العالم بعلمهم، وفي نفس الوقت اغتروا بعلمهم فقاموا بتكذيب القران وشككوا بصدق ما فيه، فكان أن ظهر من القرآن الكريم ما يعجزهم ويكذب دعواهم، فهم على طريق من سبقهم سيهزمون شر هزيمة إن شاء الله وفي صلبهم ما يتقنون كذلك.

لذلك جاء هذا البحث موضحا لمسألة من المسائل التي هزم الله عز وجل بها أعداء القرآن، فلفظ الناصية ورد في القران الكريم على أنه مصدر تفكير وقيادة كل دابة منذ أربعة عشر قرنا، فاصبح اكتشافهم مسبوقا بكل هذه القرون.

وتتجلى أهمية هذا البحث في انه يشير إلى أن القران الكريم هو معجزة الله الخالدة، وإعجازه متجدد بحسب المكان والزمان، فعندما كذب بهذا الدين أهل الفصاحة والبلاغة اعجزهم القران الكريم بفصاحته وبلاغته، واليوم يكذب بهذا الدين أهل العلم يعجزهم ذات القران بإشارات علمية، تجعلهم يتحيرون أمام هذا الإعجاز.

وأما بخصوص الدراسات السابقة على الناصية فلم اجد بحثا تعرض لها بصورة عامة في القران الكريم، بل ذكره الشيخ الزنداني من خلاله كتاباته عن الإعجاز العلمي، وكذلك هناك بحث للدكتور المتخصص في تشريح الأجساد تكلم عن وظيفة الناصية من خلال سورة العلق فقط.

وقد اقتضت منهجية البحث أن اقسمه على مقدمة وتمهيد وثلاثة مطالب وخاتمة:

بينت في المطلب الأول تعريف الناصية عند أهل اللغة، ثم تناولت في المطلب الثاني معناها عند المفسرين، ثم تناولت في المطلب الثالث ماذا قال أصحاب التوجهات العلمية عن الناصية وأين مكانها وما هو عملها في الجسم.

تمهيد

وردت لفظة الناصية في القرآن الكريم أربع مرات في أربع آيات بيّنات هن:

قال تعالى: ﴿ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَّا مِن دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾ ﴾ [هود].

قال تعالى: ﴿ يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ ﴿٤١﴾ ﴾ [الرحمن].

قال تعالى: ﴿ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ ﴾ [العلق].

قال تعالى: ﴿ نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾ ﴾ [العلق].

فقد جائت لفظة الناصية في القران الكريم في اربع آيات بيّنات، إذ وردت بالجمع في سورة هود، ومفردتا في سورتي الرحمن والعلق وتكرر ذكرها في سورة العلق في الآية الخامس عشرة والسادس عشرة. وقد وردت لفظة الناصية في الحديث الشريف أيضا عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**الخيل في نواصيها الخير إلى يوم القيامة**»(١).

وكان من دعاء الرسول الكريم ﷺ «**أَعُوذُ بِكَ من شَرِّ كل شَيْءٍ أنت آخِذٌ بِنَاصِيَتِهِ**»(٢).

كما وردت لفظة الناصية في الحديث الشريف فيما روي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**ما أصاب مسلماً قط هم أو حزن فقال: اللهم إني عبدك وابن عبدك وابن أمتك ناصيتي بيدك ماض فيَّ حكمك عدل في قضاؤك أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحداً من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن ربيع قلبي ونور بصري وجلاء حزني، وذهاب همي إلا أذهب الله همه وأبد له مكان حزنه فرحا...**»(٣)(٤).

ولابد من الإشارة هنا إلى أن المقصود بمأثور التفسير في هذا البحث هو كل أنواع التفسير من غير التفسير العلمي، وأما التفسير العلمي فهو مصطلح أشار أهل الاختصاص إلى أنه يعني: قيام أصحاب التوجهات العلمية من المفسرين إلى تفسير الآيات القرآنية تفسيراً علمياً، وفق قواعد العلم الحديث، وتبيينهم المضامين العلمية للآيات وفق مقررات وتحليلات العلم الحديث(٥).

وعند البحث في تفسير لفظة الناصية عند مفسري القرآن الكريم نجد أن هناك فرقا في تحديد ذات الناصية عند أهل التفسير بالمأثور وأهل التفسير العلمي، كما أن هناك فرقا بينهم في أمر أهم نابع من الفرق الأول، هو سبب تعامل الله تعالى مع الإنسان من خلال هذا المكان، وفيما يلي تفصيل ما سبق:

المطلب الأول- الناصية لغةً:

الناصية في اللغة هي ما دل على التخيير والعلو في الأشياء، ومنه النصية من القوم ومن كل شيء: الخيار. ويقال انتصيت الشيء: اخترته؛ لذلك سميت مقدمة شعر الرأس بالناصية لارتفاع منبتها(٦).

والناصية: قصاص الشعر، ونصوت فلانا وانتصيته، وناصيته: أخذت بناصيته، وفلان ناصية قومه رأسهم وعينهم، وانتصى الشعر: طال، والنصي: مرعى من أفضل المراعي. وفلان نصية قوم أي: خيارهم تشبيها بذلك المرعى(٧).

قال الأزهري (رحمه الله): «الناصية عند العرب منبت الشعر في مقدم الرأس لا الشعر الذي تسميه العامة الناصية وسمي الشعر ناصية لنباته من ذلك الموضع»(٨).

جاء في لسان العرب: «الناصية واحدة النواصي... الناصية والنصاة... قصاص الشعر في مقدم الرأس»(٩).

ومما يجدر الإشارة اليه هنا أن الأزهري خالف من قبله من أهل اللغة في أن معنى الناصية هو شعر مقدمة الرأس، فوصف القائلين بذلك بالعامة، وأكد أن معنى الناصية هو المكان الذي ينبته من شعر مقدمة الرأس والبون شاسع بين الرأيين.

المطلب الثاني- الناصية في مأثور التفسير:

سنبحث في هذا المطلب في معنى الناصية عند المفسرين. والذي نعنيه بمأثور التفسير هنا هو آراء المفسرين في معنى الناصية من غير القائلين بالتفسير العلمي سواء كان التفسير مأثورا ام تفسيرا بالرأي.

وعند البحث عن معنى الناصية في آية سورة هود: ﴿ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَّا مِن دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾ ﴾ [هود].

نجد أن اللفظ جاء في سياق الكلام عن إرسال نبي الله هود عليه السلام إلى قوم عاد، إذ أمرهم بعبادة الله تعالى وارشدهم إلى نبذ الأوثان، ثم اخبرهم بانه لا يبتغي من وراء هذه الدعوة أجرا منهم؛ حيث أن جزائه من الله تعالى ثم أمرهم بالاستغفار الذي يعني الإيمان بالله تعالى في هذه الآية وأمرهم بالتوبة إلى الله تعالى من سالف ذنوبهم، فاذا كان هذا ارسل قطر السماء عليكم يدركم الغيث في وقت حاجتكم اليه، وتحيا بلادكم من الجدب والقحط، ثم حذرهم من ان يدبروا عمّا أمرهم به.

فما كان منهم إلا الإعراض، واخبروه بانه عليه السلام لم يأت ببرهان وبيان على ما يقول، كي يسلموا معه، وبأنهم لن يتركوا الهتهم، ثم قالوا له ان الذي حملك على ذم الهتنا والنهي عن عبادتها انه أصابك منها خبل وجنون. فكان رد هود عليه السلام على كلامهم هذا أن أشهد الله تعالى، وأشهدهم أيضا على انه بريء مما يشركون، تحداهم بان يقدروا على ان يضروه هم وآلهتهم بشيء، ثم اعلن توكله على الله تعالى مالكه ومالكهم، والقيّم على جميع خلقه، فانه ليس من شيء يدب على الأرض إلا والله مالكه، وهو في قبضته ذليل خاضع(١٠).

أما عن لفظ الناصية في هذه الآية الكريمة: ﴿ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَّا مِن دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾ ﴾ [هود].

فقد تكلم عنه الإمام الطبري رحمه الله قائلاً: «فإن قال قائل: وكيف قيل هو آخذ بناصيتها فخص بالأخذ الناصية دون سائر أماكن الجسد قيل لأن العرب كانت تستعمل ذلك في وصفها من وصفته بالذلة والخضوع فتقول ما ناصية فلان إلا بيد فلان أي أنه له مطيع يصرفه كيف شاء وكانوا إذا أسروا الأسير فأرادوا إطلاقه والمن عليه جزوا ناصيته

ليعتدوا بذلك عليه فخرا عند المفاخرة، فخاطبهم الله بما يعرفون في كلامهم والمعنى ما ذكرت»[١١].

فالإمام الطبري (رحمه الله) يشير هنا إلى أن الناصية هي مقدمة شعر الراس التي يجر منها الإنسان إذلالاً له، وهذا ماعرفته العرب. وقد وافق الإمام الطبري في هذا الراي عدد من المفسرين[١٢].

فيما ذهب الإمام القرطبي (رحمه الله) إلى ان الناصية هنا هي الجبهة بين العينين، وانها سميت بالناصية لأن الأعمال قد نصت وبرزت من غيب الغيب فصارت منصوصة في المقادير[١٣].

ونجد هنا في راي الإمام القرطبي انه ذكر رأياً جديداً في معنى الناصية لم يذكره من قبله من المفسرين، إذ أشار هنا إلى أن الناصية هي الجبهة وليست الشعر الذي في مقدمة الراس، مؤكدا على أن الأعمال تجمع في هذا المكان بين عيني كل إنسان.

كما وجدنا أن الإمام الألوسي (رحمه الله) قد ذكر هذا الراي إلا انه لم يتبع راي الإمام القرطبي كاملا بل ذكر أنها قد تطلق على مقدمة الراس ثم وافق الآراء الأولى التي تشير إلى أنها المكان الذي يسيطر على الدابة من خلاله اذ قال: «والناصية مقدم الرأس وتطلق على الشعر النابت عليها واستعمال الأخذ بالناصية في القدرة والتسلط مجاز أو كناية وفي البحر أنه صار عرفا في القدرة على الحيوان»[١٤].

كما ذهب سيد قطب (رحمه الله) إلى ان المقصود بالناصية هو الجبهة أيضا[١٥].

أما بخصوص الآية الثانية التي ورد فيها لفظ الناصية وهي الآية ٤١ من سورة الرحمن: ﴿يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ ﴿٤١﴾﴾.

فقد جاء اللفظ هنا بالجمع، وسياق الآية الكريمة يتكلم عن مشاهد اليوم الآخر. مشهد الانقلاب الكوني يوم القيامة، وما يعقبه من مشاهد الحساب. ومشاهد العذاب والثواب، ويبدأ استعراض هذه المشاهد بمشهد كوني يتناسب مع مطالع السورة ومجالها الكوني﴿ فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ ﴿٣٧﴾﴾ سورة الرحمن، وفي وسط هذه المشاهد يتوقف السؤال: ﴿ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ ﴿٣٩﴾﴾ الرحمن، وذلك في موقف من مواقف ذلك اليوم المشهود الذي ستكون فيه مواقف شتى، منها ما يسأل فيه العباد، ومنها ما لا يسألون فيه عن شيء، ومنها ما تجادل كل نفس عن نفسها، وما تلقي به التبعة على

شرذضَكائها، ومنها ما لا يسمح فيه بكلمة ولا جدال ولا خصام فهو يوم طويل مديد. وكل موقف من مواقفه هائل مشهود ﴿يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ ﴿٤١﴾﴾ سورة الرحمن، وهو مشهد عنيف ومع العنف الهوان. حيث تجمع الأقدام إلى الجباه، ثم يقذف المجرمون على هذه الهيئة إلى النار... فهل حينذلك من تكذيب أو نكران(١٦).

وعند البحث في تفسير هذه الآية الكريمة لم نجد أن أحدا من المفسرين رحمهم الله تعالى أشار إلى رأي جديد في تفسير لفظ الناصية هنا.

وأما فيما يتعلق بلفظ الناصية في سورة العلق فقد ورد في الآية التي نزلت في أبي جهل، لعنه الله، توعد النبي ﷺ على الصلاة عند البيت، فوعظه الله تعالى بالتي هي أحسن أولا فقال: ﴿أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ﴿١١﴾﴾، أي: فما ظنك إن كان هذا الذي تنهاه على الطريق المستقيمة في فعله ﴿أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ ﴿١٢﴾﴾ بقوله، وأنت تزجره وتتوعده على صلاته؛ ولهذا قال: ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾﴾ أي: أما علم هذا الناهي لهذا المهتدي أن الله يراه ويسمع كلامه، وسيجازيه على فعله أتم الجزاء. ثم قال تعالى متوعدًا ومتهددًا: ﴿كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ﴾ أي: لئن لم يرجع عما هو فيه من الشقاق والعناد ﴿لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ﴾ أي: لنَسمَنَّها سواداً يوم القيامة(١٧).

كما ورد في سبب نزول هذه الآيات: أن رسول الله ﷺ كان يصلي فجاءه أبو جهل فنهاه فأنزل الله تعالى قوله: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ﴾ إلى قوله ﴿كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ﴾(١٨).

وللسفع في اللغة أصلان الأول: السواد والشحوب وقيل نوع من السواد ليس بالكثير وقيل السواد مع لون آخر وقيل السواد المشرب حمرة... ومنه قيل للأثافي(١٩) سفع وهي التي أوقد بينها النار فسودت صفاحها التي تلي النار. وأما الأصل الآخر فقولهم: سفعت الفرس، إذا أخذت بمقدم رأسه، وهي ناصيته(٢٠).

وأما تفسير السفع عند المفسرين فقد مال اغلب المفسرين رحمهم الله تعالى إلى الأصل اللغوي الثاني فقالوا بان السفع هنا بمعنى الأخذ الشديد(٢١).

وما اختلف هنا في تفسير لفظ الناصية في سورة العلق عن تفسير آية سورة هود هو سبب وصف الله تعالى للناصية بالكذب والخطأ وعدم إضافة هذا الوصف لابي جهل، وهو ما جعل المفسرين يطرحون بعض الآراء التي لم تذكر مع لفظ الناصية فيما سبق،

ومن ذلك قول الزمخشري (رحمه الله): «ووصفها بالكذب والخطأ على الإسناد المجازي، وهما في الحقيقة لصاحبها، وفيه من الحسن والجزالة ما ليس في قولك: ناصية كاذب خاطئ»[٢٢].

فيما اختار ابن كثير (رحمه الله) معنى السواد للسفع والحقيقة في وصف الناصية عندما قال: «﴿لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ﴾ أي: لنَسمَنَّها سوادا يوم القيامة. ثم قال: ﴿نَاصِيَةٖ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٖ ١٦﴾ يعني: ناصية أبي جهل كاذبة في مقالها خاطئة في فعَالها»[٢٣].

وهنا نجد أن ابن كثير (رحمه الله) لم يعلق على سبب وصف الناصية دون صاحبها؛ بل اكد أن ناصيته كاذبة في مقالها خاطئة في فعلها.

كما ذكر بعض المفسرين أن في وصف الناصية بالكذب والخطأ أسلوب بلاغي يتلخص: «بأنه أطلق الناصية وأراد صاحبها على أسلوب لإطلاق البعض وإيراد الكل،... والذي ينبغي التنبيه عليه من جهة البلاغة: أن البعض الذي يطلق ويراد به الكل، لا بد في هذا البعض من مزيد مزية للمعنى المساق فيه الكلام. فمثلاً هنا ذم الكذب وأخذ الكاذب بكذبه، فجاء ذكر الناصية وهي مقدم شعر الرأس، لأنها أشد نكارة على صاحبها ونكالاً به، إذ الصدق يرفع الرأس والكذب ينكسه ذلة وخزياً فكانت هي هنا أنسب من اليد أو غيرها، بينما في أبي لهب تطاول بماله، والغرض مذمة ماله وكسبه الذي تطاول به، واليد هي جارحة الكسب، وآلة التصرف في المال، فكانت اليد أولى فيه من الناصية»[٢٤].

كما ذهب سيد طنطاوي (رحمه الله) إلى أن: «خاطئة: اسم فاعل من خطئ فلان- كعلم- فهو خاطئ وهو الذى يأتي الذنب متعمداً، ووصفت الناصية بأنها خاطئة مبالغة في تعمد هذا الإنسان الارتكاب المنكر، على حد قولهم: نهار صائم، أي: صائم صاحبه، ولأن الناصية هي مظهر الغرور والكبرياء»[٢٥].

المطلب الثالث- الناصية في التفسير العلمي:

من خلال هذا المطلب سنحاول معرفة معنى الناصية عند أهل الإعجاز العلمي وهل هناك توافق بين مأثور التفسير وهذا الإعجاز؟

يعد الشيخ عبدالمجيد الزنداني[٢٦] هو أول من تطرق للربط بين الاكتشافات العلمية الحديثة في وظائف الناصية وبين معنى الناصية في القران الكريم، وكان ذلك بعد

حيرة عاشها باحثا عن سبب وصف القران الكريم للناصية بالكذب والخطأ، حتى عثر على أن هناك اكتشافا علميا توصل إلى أن مقدمة الدماغ في رأس الإنسان هي المسؤولة عن إدارة تصرفات الإنسان من كذب وخطأ وغير ذلك.

وقد توصل الشيخ الزنداني لهذا الإعجاز من خلال البرفسور محمد يوسف سكر[٢٧]، والبرفسور كيث مور[٢٨] الذي اكد أن: «الناصية هي المسئولة عن المقايسات العليا وتوجيه سلوك الإنسان، وما الجوارح إلا جنود تنفذ هذه القرارات التي تتخذ في الناصية؛ لذلك فالقانون في بعض الولايات الأمريكية يجعل عقوبة كبار المجرمين الذي يرهقون أجهزة الشرطة هي استئصال الجزء الأمامي من المخ الناصية، لأنه مركز القيادة والتوجيه ليصبح المجرم بعد ذلك كطفلٍ وديع يستقبل الأوامر من أي شخص»[٢٩].

وللتعرف على مكان الناصية في راس الإنسان نبين هنا فصوص دماغه:

١. الفص الأمامي frontal lobe
٢. الفص الخلفي occipital lobe
٣. الفص الصدغي temporal lobe
٤. الفص الجداري PARIETAL LOBE

والناصية تقع في الفص الأمامي الذي هو عضو المخ الذي يستتر وراء الجبهة، ويحتوي على خمسة مراكز عصبية، الأول هو مركز الحركة الأولي ويقوم بتحريك العضلات الإرادية للجهة اليسرى للجسم. والمركز الثاني هو مركز الحركة الثانوي، ويقوم بتحريك العضلات الإرادية للجهة اليمنى للجسم. والمركز الثالث هو الحقل العيني الجبهي ويقوم بالتحريك المتوافق للعينين إلى الجهة المقابلة. والمركز الرابع هو مركز حركات النطق الذي يقوم بتنسيق الحركة بين الأعضاء التي تشترك في عملية النطق كاللسان والحنجرة. والمركز الخامس هو القشرة الأمامية الجبهية وتقع مباشرة خلف الجبهة وهي تمثل الجزء الأكبر من الفص الأمامي للمخ، وترتبط وظيفتها بتكوين شخصية الفرد ولها أيضاً تأثير في تحديد المبادرة والتمييز. بما أن القشرة الأمامية الجبهية تقع مباشرة خلف الجبهة فهي تختفي في عمق الناصية وبذلك تكون هي الموجهة لبعض تصرفات الإنسان التي ترتبط بشخصيته مثل الصدق والكذب والصواب والخطأ، وهي التي تميّز بين هذه الصفات وبعضها البعض[٣٠].

وقد بيّنت دراسات المخ الإلكترونية ودراسات وظائف الأعضاء الكهربية أن المرضى والحيوانات التي تعرضّت لتلف الفلقات الجبهية الأمامية، فإنهم غالباً ما يُعانون من تناقص في قدراتهم العقلية، كما تم الكشف على أن أي خلل يصيب الفص الأمامي يغير السلوك الطبيعي للإنسان وقد يصل إلى صدور تصرفات شريرة وهبوط في المعايير الأخلاقية والتذكر والقدرة على حل المشكلات العقلية. كما تعد الفلقات الجبهية الأمامية للمخ مركز المبادرة بالكذب، ففيها تتم الأنشطة العقلية المتعلقة بالكذب ثم تحمل تعليماتها بأعضاء المراسلة خلال فعل الكذب، وكذلك الأفعال الشريرة فإنها تُخطط في الفلقات الجبهية الأمامية قبل أن تُحمل إلى الأعضاء المباشرة للفعل. إن القشرة الأمامية الجبهية المختفية في عمق الناصية هي المسؤولة عن التصرفات الخاطئة لأنها مركز التوجيه والضبط لتصرفات الإنسان[٣١].

وانطلاقا مما سبق يمكننا التأكيد على صحة راي من قال إن آية سورة هود ﴿ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ ۚ مَّا مِن دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا ۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾ ﴾ وصفت الناصية بأنها مكان القيادة في المخلوق الحي وبها جماع أمره كله، وان آيتي سورة العلق قد ربطت الأولى منها بين الناصية والتحكم في اتخاذ القرار، في قوله تعالى: ﴿ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ ﴾. ووصفت الآية الثانية، ذات الناصية بالكذب والخطأ في قوله تعالى :﴿ نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾ ﴾[٣٢].

والان يمكننا ترجيح القول بان الناصية في القران الكريم جاءت بمعنى الفص الأمامي من الدماغ، وليس هي الشعر او منبت الشعر؛ وكان هذا الترجيح لما يأتي:

- إن القول في تفسير القران الكريم بالحقيقة أولى من الذهاب للمجاز اذا كان هناك وجه للحقيقة.
- إن القائلين من المفسرين بان الأخذ بالناصية هو الأخذ بمنبت الشعر استندو في قولهم هذا على أن هذا الأخذ هو غاية في الإذلال وان العرب كانت تأخذ الأسير من ناصيته، وهذا لا ينضبط مع قوله تعالى: ﴿ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ ۚ مَّا مِن دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا ۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾ ﴾ [هود]، فالآية هنا شاملة لم تفرق بين المذنب وغير المذنب؛ فكيف يذل ويؤخذ من ناصيته من لم يذنب حاله كحال من اذنب؟

- وكذالك شمولية الآية الكريمة بالأخذ بكل النواصي اذا كانت بمعنى الشعر، يثير سؤالا عن كيف تكون شاملة لكل الدواب مع ان هناك من الدواب من ليس له ناصية.
- وفي نفس السياق كيف يقول الرسول الكريم ﷺ: «**ناصيتي بيدك**»[٣٣] وهو المعصوم من الخطأ.
- وقد يكون من الأسباب أيضا أن المفسرين حاولوا البحث عن وجه يفسرون فيه وصف الناصية وعدم وصف صاحبها فمنهم من قال بانه مجاز ومنهم من قال بان وصف البعض والمراد الكل، ومنهم من قال بانه رمز الكبرياء والغرور، بل وحتى شراح الحديث الشريف اذ جاء في فتح الباري عند كلامه عن سبب القول بان الخير في نواصي الخيل: «فيحتمل أن تكون الناصية خصت بذلك لكونها المقدم منها إشارة إلى أن الفضل في الإقدام بها على العدو دون المؤخر لما فيه من الإشارة إلى الإدبار»[٣٤].

لذلك كله أقول: إن القران الكريم قد أشار صراحة إلى أن الله تعالى آخذ بناصية كل دابة خلقها سواء من البشر أم من غيرهم، وهذا الأخذ دليل السيطرة والقهر، كما أن هذا الأمر اتضح في الحديث الشريف أيضا. وان السبب في الأخذ بالناصية دون غيرها قد يكون لأنها مصدر التفكير والقيادة كما أشار إلى هذا السبب الشيخ الزنداني. إلا أننا هنا لا نحكم على التفاسير الأخرى بالبطلان، فقد تكون الحقيقة العلمية التي رجحنا على ضوئها هذه الدلالة احدى وجوه دلالات الآية، وظلالها ممتدة إلى حقائق أخرى لم نتمكن من التوصل اليها، حسب ثقافة عصرنا، إلا أن التقدم العلمي والحضاري كفيل أن يميط اللثام لنا عن جوانب أخرى[٣٥].

والله تعالى اعلم.

□

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد النبي الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

فان لكل بداية نهاية ولكل مقدمة خاتمة؛ لذلك سأسجل هنا بعض النتائج التي تجلت من خلال هذا البحث:

- يكاد أهل اللغة يجمعون على الناصية عند العرب هي الشعر الذي في مقدمة الراس، لولا أن خالفهم الأزهري مشيرا إلى أن الناصية المكان الذي ينبت فيه شعر مقدمة الراس.
- إن تعريف أهل التفسير للناصية موافق لتعريف أهل اللغة، لذلك لم يكن لأهل التفسير معرفة بسبب الأخذ بالناصية دون غيرها فذهبوا يبحثون عن السبب، فقال بعضهم لأنها في مقدمة الإنسان وقال البعض الآخر لأنها اعلى شيء في الإنسان.
- إن ربط أصحاب التوجهات العلمية في تفسير القران الكريم بين الناصية في القران الكريم وبين الناصية عند أهل العلم، جاء بعد بحث طويل وتجارب عدة أجريت على هذا المكان من جزء الكائن الحي فتبين بالدليل المحسوس أن هذا المكان اذا تعرض لخلل اختلت ذاكرة صاحبه.

وختاما نساله تعالى أن يعيننا على خدمة القران الكريم، وعدم هجره... وصلِّ اللهم وسلم وبارك على الحبيب المصطفى واله وصحبه أجمعين.

هوامش البحث

(١) صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، دار ابن كثير، بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، تحقيق: د.مصطفى ديب البغا: كتاب: الجهاد والسير، باب: الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة، رقم الحديث (٢٦٤٩).

(٢) صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، كتاب: الذكر والدعاء والتوبة، باب: مَا يَقُولُ عِنْدَ النَّوْمِ وَأَخْذِ الْمَضْجَعِ، رقم الحديث (٧٠٦٤).

(٣) المعجم الكبير، سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، مكتبة العلوم والحكم، الموصل، ط٢، ١٤٠٤هـ/١٩٨٣م، تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي: ١٠/ ١٦٩.

(٤) (إسناده صحيح). ينظر: صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م، تحقيق: شعيب الأرنؤوط: ٣/٢٥٣.

(٥) ينظر: تعريف الدارسين بمناهج المفسرين، د.صلاح عبدالفتاح الخالدي، دار القلم، دمشق، ط٤، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م: ٥٦٦.

(٦) ينظر: معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، مادة: نصا: ٤٣٣/٥.

(٧) ينظر: المفردات في غريب ألفاظ القرآن، الحسين بن محمد بن المفضل المعروف بالراغب الأصفهاني، دار القلم، دمشق، مادة: نصا: ٤٣٤/٢.

(٨) تهذيب اللغة، أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠١م، تحقيق: محمد عوض مرعب، مادة: نصا: ١٧١/١٢.

(٩) محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، دار صادر، بيروت، ط١، مادة: نصا: ٣٧٢/١٥.

(١٠) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري أبو جعفر، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٥هـ: ٥٧/١٢-٦٠.

(١١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ١٢/ ٦٠.

(١٢) ينظر: تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي (ت٧٧٤هـ)، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م، تحقيق: سامي بن محمد سلامة: ٤٥١/٢، انوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين أبو الخير عبدالله بن عمر بن محمد البيضاوي، دار الفكر، بيروت، ١٤١٦هـ: ٢٤١/٣، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، محمد بن محمد العمادي أبو السعود، دار إحياء التراث العربي، بيروت: ٤/ ٢١٨، تفسير فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، دار الفكر، بيروت: ٥٠٥/٢، تفسير زاد المسير: ٤/ ١١٨، مفاتيح الغيب، فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م: ١٢/١٨، والبحر المحيط: ٢٣٤/٥. اللباب في علوم الكتاب، عمر بن علي ابن عادل الدمشقي، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط١، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م: ٥٠٨/١٠، زهرة التفاسير، محمد أبو زهرة، دار الفكر، بيروت- لبنان: ١/ ٣٧١٩.

[١٣] ينظر: الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر شمس الدين القرطبي (ت:٦٧١هـ)، دار عالم الكتب، الرياض- المملكة العربية السعودية، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣ م، تحقيق: هشام سمير البخاري: ٥٣/٩.

[١٤] تفسير روح المعاني: ٨٢/١٢.

[١٥] ينظر: في ظلال القران: ٢٤٠/٤.

[١٦] ينظر: في ظلال القران: ١٠٤/٧

[١٧] تفسير القران العظيم: ٤٣٨/٨.

[١٨] ينظر: لباب النقول في أسباب النزول، عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي (ت:٩١١هـ)، دار إحياء العلوم، بيروت: ٢٣٢.

[١٩] الاثافي هي الأحجار التي يوضع عليها القدر عند طهي الطعام. ينظر: لسان العرب، مادة: اثف: ٣/٩.

[٢٠] ينظر: معجم مقاييس اللغة، مادة: سفع: ٨٤/٣، لسان العرب: مادة: سفع: ١٥٦/٨. القاموس المحيط، مادة: سفع: ٩٤١.

[٢١] ينظر: جامع البيان: ٥٢٥/٢٤، تفسير الرازي: ١١٩/١٧، فتح القدير: ٤٦٩/٥، روح المعاني: ١٨٦/٣٠.

[٢٢] الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي (ت٥٣٨هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، تحقيق: عبدالرزاق المهدي: ٧٨٤/٤، وينظر: التفسير الكبير: ١٢٠/١٧، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبدالحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (ت:٥٤٢هـ)، دار الكتب العلمية، لبنان، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد: ٥٠٣/٥، فتح القدير: ٤٧٠/٥.

[٢٣] تفسير القران العظيم: ٤٣٨/٨، وينظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن السعدي، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق: ٣١١.

[٢٤] أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد بن المختار الجكني الشنقيطي، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م: ٢٨/٩.

(٢٥) التفسير الوسيط للقران الكريم، محمد سيد طنطاوي: ٤٥٨/١٥.

(٢٦) عالم وداعية جليل، تميز بسلامة المنهج، وسعة الأفق، وقوة التأثير، له مكانة بارزة في العمل الإسلامي عموماً، وبخاصة في بلاد اليمن. نذر نفسه لنشر الدعوة الإسلامية والعلوم الشرعية، وأسس جامعة الإيمان في صنعاء. له جهود مشكورة في الإعجاز العلمي للقرآن الكريم، وواجه بذلك كثيراً من العلمانيين والماديين. ينظر: مجلة البيان، تصدر عن المنتدى الإسلامي: العدد: ١٦٣، صحيفة ٥٠.

(٢٧) رئيس قسم الدراسات العليا في كلية الطب بجامعة الملك عبد العزيز وهو من السودان: http://ourpetclub.com/vb/showthread.php?t=532&page=1

(٢٨) وهو من اشهر العلماء في علم الاجنة، اسلم عام ١٩٨٦ له كتاب يدرّس في معظم كليات الطب في العالم، وهو كتاب the developing human. ينظر: الذين هدى الله للدكتور زغلول النجار www.egydenal.com.

(٢٩) البينة العلمية في القران الكريم، عبدالمجيد الزنداني: ١٤.

(٣٠) ينظر: موسوعة الإعجاز العلمي في القران الكريم والسنة النبوية، يوسف الحاج، مكتبة ابن حجر، دمشق، ط١، ٢٠٠٣م: ١٥٧-١٦١.

(٣١) ينظر: الناصية ووظيفة الفص الجبهي للدماغ- دراسة إعجازية لسورة العلق، أ.د.محمد يوسف سكر، رئيس قسم الدراسات العليا في كلية الطب بجامعة الملك عبد العزيز وهو من السودان:
http://ourpetclub.com/vb/showthread.php?t=532&page=1

(٣٢) ينظر: الناصية ووظيفة الفص الجبهي للدماغ:
http://ourpetclub.com/vb/showthread.php?t=532&page=1

(٣٣) سبق تخريجه في صحيفة: ٣.

(٣٤) فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، دار المعرفة، بيروت، تحقيق: محب الدين الخطيب: ٥٥/٦.

(٣٥) ينظر: مباحث في إعجاز القرآن، د.مصطفى مسلم، دار القلم، دمشق، ط٤، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م: ١٦٢.

قائمة المصادر

١. إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، محمد بن محمد العمادي أبو السعود، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٢. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد بن المختار الجكني الشنقيطي، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.
٣. انوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين أبو الخير عبدالله بن عمر بن محمد البيضاوي، دار الفكر، بيروت، ١٤١٦هـ.
٤. البينة العلمية في القران الكريم، عبدالمجيد الزنداني، (د.ت).
٥. تعريف الدارسين بمناهج المفسرين، د.صلاح عبدالفتاح الخالدي، دار القلم، دمشق، ط٤، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م.
٦. تفسير البحر المحيط، العلامة أبو حيان الأندلسي، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط١، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.
٧. تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (٧٠٠-٧٧٤هـ)، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، تحقيق: سامي بن محمد سلامة.
٨. تهذيب اللغة، أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠١م، تحقيق: محمد عوض مرعب.
٩. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن السعدي، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق.
١٠. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري أبو جعفر، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٥هـ.
١١. الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر شمس الدين القرطبي (ت:٦٧١هـ)، دار عالم الكتب، الرياض- المملكة العربية السعودية، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م، تحقيق: هشام سمير البخاري،.
١٢. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، محمود الألوسي أبو الفضل، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

١٣. زاد المسير في علم التفسير، عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٣، ١٤٠٤هـ.
١٤. زهرة التفاسير، محمد أبو زهرة، دار الفكر، بيروت- لبنان.
١٥. صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م، تحقيق: شعيب الأرنؤوط.
١٦. صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، دار ابن كثير، بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، تحقيق: د.مصطفى ديب البغا.
١٧. صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري (ت:٢٦١هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.
١٨. فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، دار المعرفة، بيروت، تحقيق: محب الدين الخطيب.
١٩. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، دار الفكر، بيروت.
٢٠. في ظلال القران، سيد قطب، دار احياء التراث العربي، بيروت- لبنان، ط٣.
٢١. القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، مؤسسة الرسالة، بيروت.
٢٢. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي (ت:٥٣٨هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، تحقيق: عبدالرزاق المهدي.
٢٣. لباب النقول في أسباب النزول، عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي (ت٩١١هـ)، دار إحياء العلوم، بيروت.
٢٤. اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص عمر بن علي ابن عادل الدمشقي الحنبلي، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط١، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.
٢٥. لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، دار صادر، بيروت، ط١.
٢٦. مباحث في اعجاز القران، د.مصطفى مسلم، دار القلم، دمشق، ط٤، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م.

٢٧. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبدالحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (ت:٥٤٢هـ)، دار الكتب العلمية، لبنان، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد.
٢٨. المعجم الكبير، سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، مكتبة العلوم والحكم، الموصل، ط٢، ١٤٠٤هـ/١٩٨٣م، تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي.
٢٩. معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، دار الفكر، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م، تحقيق: عبد السلام محمد هارون.
٣٠. مفاتيح الغيب، فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.
٣١. المفردات في غريب ألفاظ القرآن، الحسين بن محمد بن المفضل المعروف بالراغب الأصفهاني (ت:٥٠٢هـ)، دار القلم، دمشق.
٣٢. موسوعة الإعجاز العلمي في القران الكريم والسنة النبوية، يوسف الحاج، مكتبة ابن حجر، دمشق، ط١، ٢٠٠٣م.
٣٣. الناصية ووظيفة الفص الجبهي للدماغ.. دراسة إعجازية لسورة العلق، أ.د.محمد يوسف سكر:
http://ourpetclub.com/vb/showthread.php?t=532&page=1
٣٤. www.egydenal.com